حلم مخيف

للاستاذ الكبير سيد قطب

قبل سنوات كانت سميرة تعتبر « فيفي » اختها الصغيرة طفلة تستحق منها التدليل كما تستحقه من والديها سواء بسواء.

كانت المسافة بينهما عشر سنوات ، وكانت سميرة في الخامسة والعشرين وقد تفتحت في نفسها غرائز الامومة فلم تجد من يلبيها . فاتجهت بها الى الصغيرة « فهيمة » او « فيفي » كما اعتاد الجميع ان ينادوها تدليلا .

ولم تكن (سميرة) شوهاء ، ولا ناقصة الانوثة ، ولكنها بلغت هذه السن وتخطتها ووصلت الى الثلاثين ، وهي وحيدة ، وهنا بدأت ترى الحياة صحراء قاحلة طويلة فارغة إلا من اطياف مزعجة تراود خيالها حينما يتخطى السنوات المقبلة بعد الثلاثين !

وكانت نشأتها في بيئة محافظة نوعا ، بين والدين لايزالان في الاحياء ، ولكنها من جيل آخر ، جيل لاتجد عنده فتاة متفتحة مثل (سميرة) عزاء ولا سلوى . فكانت (فيفي) هي الواحة الصغيرة التي تتجه اليها بعواطفها الحبيسة كلما ترامت من حولها الصحراء ، وكلما عز عليها بسبب نشأتها ان تجاوز هذه الصحراء .

ومرت ثلاث سنوات طوال على هذه الحال . ثم لقيته !

لقد كانت ذاهبة في زيارة لصديقة لها تعرفت بها حديثا لم تكن من بيئتها ، فقد كانت من ذلك الوسط الذي يسمونه (ارستقراط) ولكنها تعرفت بها عند صديقة فدعتها للزيارة فلبتها .

ودقت الجرس فتقدم هو ليفتح الباب ووقع نظرها على قامته الفارعة ، وطلعته الجهيرة ، فاحست برعشة خفيفة تسري الى اوصالها ، فلما صوب اليها نظرته القوية شعرت انها تفقد توازنها . ولم تدر كم مر من الوقت حتى وصل اليها صوته المستفسر الآمر :

— نعم ؟

— احسان هانم هنا من فضلك ؟

— نعم هنا — وارتد قليلا — وجلجل صوته في نبرات فضية : يا احسان ! وجاءت إحسان فسلمت على سميرة ، وقبلتها قبلة الصديقات الباردة المعتادة فردتها عليها قوية حارة معبرة

وكان « سامي » قد اختفى قليلا ، حينما دلفت الصديقتان إلى غرفة الجلوس . ولكنه عاد بعد دقائق يستأذن في دعابة جريئة .

— ياترى الدخول ممنوع ؟

وأحست سميرة أنها ترتجف ، ونظرت اليها صديقتها مستفسرة في دعابة . فبدا عليها الخجل والارتباك . ولكن الأنثى تفهم الأنثى . قالت احسان :

— ادخل ياأخي . انها أختك !

وانكمشت سميرة وبدا عليها الخوف والاضطراب . إنها لاتزال غرة — وإن تجاوزت الثلاثين — أما « سامي » فراح يضحك ويرسل النكات والدعابات ؛ ويسأل ويرد ، ويقص النوادر . ويستثيرها للحديث كأنما ركب في لسانه وبدنه ألف محرك دوّار . لقد كان يعرف كيف ينطق هؤلاء الصامتات !

وبعد نصف ساعة انصرفت « سميرة » ولكنها كانت فتاة أخرى جديدة . كانت تحلم احلاما نائية . خدرة ، لذيذة ، ولكنها لم تكن تستطيع الامساك بهذه الاحلام . فلقد كانت تفر منها كالفراش الابيض في يوم من ايام الربيع !

لم تعد حياة « سميرة » صحراء قاحلة . ولم يعد المنزل هو كل عالمها . لقد اصبحت فجأة كثيرة الصديقات كثيرة المواعيد كثيرة الاعتذار بالصديقات والمواعيد !

فمرة هي في ضيافة صديقة . ومرة هي في دراسة مع زميلات الدراسة . ومرة هي مدعوة الى حفل إحداهن المزواج . ومن ذا الذي يستطيع ان يأخذ الطريق على الجائع

المحروم والمائدة الشهية على قيد خطوات ؟ !

ان كل ما عاد يربطها بالبيت هو (فيفي) . وان الايام قد جعلت من (فيفي) فتاة . وان سميرة لتتخذ منها شيئا فشيئا صديقة صغيرة . لاتمالك نفسها ان تنفض لديها ما تعجز عن كتمانه من فيض المشاعر والوجدانات .

لقد حدثتها في حذر وتورية اول الامر ، ثم في طلاقة وصراحة . حدثتها عن الحب الجارف العميق . وعن المشاعر الحرى التي لاتملك لها احتباسا . حدثتها عن لحظات السعادة المسروقة ؛ وعن دنيا الآمال الجميلة . حدثتها عن الليل والقمر والجمال . حدثتها عن العالم الآخر الذي لا يرتاده الا السعداء ولا يسمح باجتيازه لفرد بمفرده من العالمين !

وكانت تنهي تصريحاتها لفيفي بضمة قوية عنيفة ، وقبلة طنانة مثيرة . وكثيرا ما كررت هذه وتلك حين يضمها سزيرها الواحد في كثير من الامسيات !

***

ثم تمضي الايام و (فيفي) موضع سر « سميرة » ومساعدتها على كتمان غيبتها الليلية عن الوالدين المسنين . لقد كانت تتعمد أن تترك مزلاج الباب مفتوحا ، وان تطفىء نور حجرتها ـ وهي حجرة الاخت ايضا ـ لايهام الوالدين الواثقين ؛ ان الاختين قد نامتا . حتى اذا عادت سميرة فتحت الباب في خفة ، ومضت على اطراف اصابعها الى الحجرة المشتركة في امان من السؤال والجواب !

ولكن ها هي ذي الايام تمضي و (سميرة) لا تتحدث مع [فيفي] عن الحب والسعادة والآمال المسولة . ولا تضمها اليها في عنف وحرارة ، ولا تقبلها إلا احيانا ـ وهي نائمة ـ قبلة خفيفة على جبينها في حنان ، لقد انطفأت سميرة كما تنطفي الشعلة المتوهجة . لقد فترت نظرات عينيها المتطلعتين .. لقد بدت في نظراتها ظلال وفي قسماتها انكسار !

ولولا ان [فيفي] قد صارت فتاة متوثبة طائرة لفطنت الى هذه الظلال التي تبدو في نظرات شقيقتها الكبيرة . ولكنها لم تنتبه اليها . لقد كانت في شغل عنها بالقوة الطافرة في نفسها واحاسيسها . لقد بدأت هي الاخرى تجد لديها حشدا من من المواعيد ! وانها لتقضي فترات طويلة امام المرآة وانها لتخرج من الدار طافرة كالغزال ! انها في الثالثة والعشرين !

ولحظت سميرة هذا التغير المفاجىء في حياة شقيقتها الصغيرة . وكانت قد اخذت تأوي الى البيت اكثر مما اعتادت ان تأوي . إن (سامي) مسافر ـ كذلك أنباها منذ ايام ـ وانه لا يدري متى يعود ، فمهمته ليست محدودة بايام !

ليت (فيفي) ترتد طفلة صغيرة لتريق عليها حنانها الفائض بل ليتها تلبث قليلا في الدار لتحدثها حديثا جديدا . ولتبصرها مواقع قدميها فانها لتخاف عليها وتخشى

ولكن أين من يعوق وثبات الشباب ؟

***

ووجدت نفسها ذات اصيل تخرج من الدار كالهاربة ، لاتدري لها وجهة ولا قصدا ، ووجدت نفسها عند الغروب في اول طريق الهرم . إن لها في هذا الطريق لذكريات . فكم سارت فيه مع « سامي » ويدها في يده والقمر وحده يشهد خطواتهما النشوى . وكم قطعت سيارته بهما الارض جيئة وذهوبا ، وذراعه تطوقها ، وفمه يهمس لها بأعذب الامنيات .

لقد كان ذلك كله قبل الليلة الاخيرة . تلك الليلة التي فصلت بين عهدين من حياتها الى الأبد ..

ووجدت نفسها تبكي !

ثم تلتفت مذعورة وتنحاز الى جانب الطريق .. ان سيارة تطلق بوقها مرات متواليات . ولكنها تذكر هذا البوق انها تعرفه جيدا . ولمحت عينها السيارة !

ولكن يا للهول ! انه هو .. وانه ليس وحده . انها هي ! إنها معه أيضا .. انها (فيفي) !

ام انه الجنون ذلك الذي يخيل اليها (سامي) و (فيفي)

***

لم تصرخ .. لأنها لم تجد صوتها ولا ريقها . ولم تجر خلف السيارة .. لأنها لم تجد عزمها ولا قدميها ، ولم تسقط على الارض .. لانها سمرت في مكانها .

ولكنها ـ في النهاية ـ وبعد ما لا تدري من الزمن وجدت نفسها تعود الى الدار لاتدري كيف عادت ولا تذكر شيئا الا السيارة ومن فيها . لقد انطبعت في مخيلتها الصورة بكل دقائقها . لقد كان هو يسوق السيارة بيد واليد الاخرى تطوق فيفي . وكانت هي تميل عليه في دلال ؛ وقد

لصقت خدها فكفه وظل هو على شعرها بلثمه .. ثم انتفض فجأة ومرقت السيارة كالسهم بعدما حاذتها وانطلقت سريعاً !

ظلت تستعيد هذه الصورة ، ثم تخفي وجهها بيدها كأنها تشيح عن شبح مرهوب . وظلت تحس في كل مرة بوخز حاد أليم كأنه شكة سكين . ومع هذا فقد ظلت تستعيد الصورة مرات ومرات حتى ادركها الدوار .

***

وبعد منتصف الليل بقليل احست سميرة بخطوات (فيفي) المتلصصة ، وازدحم رأسها بالخواطر ؛ ووثبت الى خاطرها ألف فكرة : هل تهب صارخة في وجهها كالبؤة الجريحة هل تمزق جسرتها بأسنانها واظافرها؟ هل تبكي وتنشج في احضانها؟ هل توجه اليها عتابها وملامتها . . وكان تزاحم هذه الافكار سبباً في ان تظل ساكنة في سريرها ممدده لا حراك بها .

ونظرت فلاحظت ان فيفي لا تكاد تتماسك ، وانها تستعين في خطواتها بالجدران . وما تكاد تصل الى السرير حتى تلقي بنفسها عليه كالجدار المنهار بملابسها . ثم تنطوي فتنام في ثوان ممدودات .

وتنهض (سميرة) جالسة في السرير وهي تفكر حال شقيقتها الصغيرة — فلا تجد ان « فيفي » قد احست بها ، وتجس جسمها ، وتمسك بيدها فلا تستيقظ . فترتاب الشقيقة وتجزع ، وتتواري اتقادها وضغينتها ، ثم تضغط الزر المعلق بالسرير فتوقد المصباح ، وتطل في وجه الصغيرة فيريبها التعب البادي والشعر المشعث ، وتدنى منها فتشم رائحة خاصة !

— يا لاختي المسكينة . انت الاخرى ؟ وا أسفاه !!!

وتضع خدها على خدها في حنو ، وتردد — وهي لا تدري — انت الاخرى ، وا أسفاه .

ويحس الوالد بهذه الحركة ، ويريبه النور في جوف الليل فينادي والسعال يقطع كلامه ويحشرجها :

— ماذا يا سميرة ؟ لماذا اوقدت النور ؟

— لاشيء يا أبي . حلم مخيف . رأيت حلماً مخيفاً . وتطفىء المصباح ..!

القاهرة :

سيد قطب

مصادفات

للاستاذ عبد المجيد الشرقاوي

(.. ولكن من حسن الحظ ان تشرق في حياته الاجتماعية نجوم تضيء ظلمات الاهمال والظلم الاجتماعي ..) .

انا رجل اكره الظهور في المجتمعات المختلطة التي ادعى اليها من قبل بعض اصدقائي الذين يحاولون الفة هذا اللون من الاجتماعات والزيارات .. فقد جربتها معهم فلم اجد في جوها غير النفاق والمجادلات العقيمة للظهور امام السيدات بمظهر الغالب ومظهر المثقف ولو عن طريق المغالطات والاكاذيب وقد صارت هذه النفرة اصيلة في نفسي بعد حوادث ختمت بنهايات على غاية ماتكون من الازعاج . . .

لكن صديقاً من هؤلاء الاصدقاء كان لبقاً ومغرياً حين قال بعد السلام الطويل الذي ألفنا تبادله في عرض الشارع وفوق الارضة وفي داخل السيارات الضيقة

عندي لك مفاجأة سارة . فانا حين ادعوك لزيارتنا هذا المساء انما اهيء لك نموذجاً رفيعاً من عبقرية فنية . ويقتضيك الانصاف الحضور ومشاهدة هذه الاعجوبة والكتابة عنها فنحن في بلد هو مقبرة الموهوبين حقاً .

ولما وقفت السيارة امسك بذراعي بشدة كانه يحاول ايصال مجرم شقي الى سجن ابدي وليس صديقاً من الاصدقاء لرؤية اعجوبة من اعاجيب الفن كما كان يقول ...

وعندما دخلنا حديقة داره كانت حرارة شمس تموز قد خفت قليلا وصعدت اشعتها اللاهبة الى ذرى الاشجار وهبت نسمات رقيقة فهزت اعطاف الشجر . . . وجاءت محملة بعبق ازهار نادرة يعجب بها هذا الصديق . . . الى جانب هوايات فنية اخرى لاقيمة لها في هذه الربوع . . .